ISSN 2170-0796

أهي الجرأة أم الحماقة

بقلم : علي معمر علاء

لقد عرفت الأسواق الجزائرية تطورا كبيرا و شاسعا في الأعوام الأخيرة إما من نوعية المنتوج من جهة أو من تعدد أماكن البيع من جهة أخرى . مما أدى إلى رغبة العديد من الناس أن يكتسح عالم التجارة و يطرق باب المال , معتقدين أنه باب الرزق السريع و أنه ملجأ لمن لم يجد مكسبا للعيش و لكنهم ربما قد نسوا قول الحبيب المصطفى ﷺ " التاجر الصدوق مع النبيين و الصديقين والشهداء " لأنه الأكثر تعرضا للفتنة المال و الدرهم , أو قول عمر بن الخطاب " من لا يعرف أحكام التجارة فلا يدخل سوقنا هذا " تمهيدا لأخلاق و مميزات التاجر الصدوق , أو المقولة الصينية " من لا يجيد الابتسامة فلا يحق له أن يمارس التجارة " و هنا رؤية و اضحة لكسب القلوب وإنشاء العلاقات بين البائع و المشتري . و لكن شتان بين جيل مضى وجيل قادم لا يفهم سوى لغة الدينار و نسي أنها قد تهوي به إلى النار و عبارة الدارهم و نسي أنه قد تفتح له باب الهم . فعلا فرطنا في هاته الأساسيت و المبادئ و تدحرجنا في قارروة الأهواء والأموال و أصبح يمارس التجارة كل من هب ودب بل أصبحت أسوأ من ذلك صار يعتنقها من ليس أهلا لها و لا يفقه فيها شيئا.

فهل ما زالت التجارة بابا لكسب العيش أم أنها أصبحت مدخلا للنوم على فراش الريش. عاشت الأسواق الجزائرية تذبذبا في مختلف مراحلها إلى درجة أن المستهلك لم يعد يجيد التحكم في ميزانيته , و إذا تحدثنا على هذا الأخير فإننا نبدأ من متوسط الدخل الذي فقد الكثير من ذوقه و تفننه في إقتناء المشتريات في مقدمتها الخضر و الفواكه و صار يبحث عن ما يوافق دخله و يكمل له حسابات شهره , بعيدا عن الجودة و النوعية هذا عن الطبقة الوسطى أما عن المستهلك الضعيف فإنه ينتظر أخر ساعات السوق ليجلب ما تيسر من الأكل ليقوت عياله , فشتان بينه وبين الطبقة الأولى التي لا يهمها أخبار السوق لأن ما يفكر فيه صاحبها هو الجودة ,النوعية و بداعة المنظر، فرغم تضارب هاته الفئات حول السوق إلا أننا لا نجد في كل وقت ما نحتاجه لغياب التاجر من جهة و لغياب الخضر والفواكه من جهة أخرى , نعم قد تستغرب عندما تسمع غياب التاجر , نعم لو تحدثنا على التجربة الجزائرية في انشاء أسواق جواريه للخضر محاولة للقضاء على الأسواق الموازية , فإنه يأخذنا الحديث على أول تجربة في ولاية بشار و ما شهدته من تعدد الأسواق الموازية سعت السلطات جاهدة للقضاء عليها و إنشاء أسواق تمتاز بجودتها المعمارية و نظافتها راحة للتاجر و ضمانا للمستهلك , إلا و بالرغم من أنها استوفت كل الشروط و المتطلبات و بالرغم من أنه حضر كل ما هو مطلوب في السوق حتى المستهلك الذي قد يغيب أحيانا , غاب هاته المرة من أسس من أجله و صرف لغرضه الكثير من الأموال إنه صاحب الفضل إنه التاجر أو من يدعي أنه تاجر سجل اسمه في قائمة المستفيدين من المحلات التي ما ان زارها الإعلام و نشر خبرها أغلقت أبوابها و بكل جرأة أخذ أصحابها المفاتيح متناسين مجهودات الدولة و متاعب مكاتب الدراسات و مؤسسة البناء و غابوا عنها تاركين علامات استفهام لا يفك عقدها إلا من مارس مهنتهم , فإلى متى نبقى نبني ونشيد الأسواق لمن لقبوا بالتجار الشطار و ننتظر منهم أن يقدموا وينجزوا ما يفعله التجار الأخيار، هكذا إذن تستمر المعاناة و يستمر الكر والفر فكل من وضع لنفسه مكانا في الطرقات أصبح لزاما أن نفكر في أن ننشئ له سوقا جوارية من أجل أن يمارس مهنة لا يفقه فيها إلا لغة جمع المال . فمن إمتلك جراة البيع في الطرقات لن يكتسب مهارة البيع في الجواريات و من تعود الصراخ في الرصيف لن يعتاد الغناء و الكلام العفيف . فما بقي إلا أن نتعلم الدرس و نأخذ العبر حتى لا نسقط في الحفر . هي الحياة هي المدرسة أساتذتها المواقف أساتذتها التجارب